

ومثال ذلك أنهم - لغفلتهم عن الفارق بين أديان العرب الجاهليين وأديان الهند اليونان والفرس - حسبوا أن العرب قد كان لهم شعر ديني لا بد أن يكون على مثال قصائد الهند والفرس والأساطير اليونانية الشعرية ، ورتبوا على ذلك إنكار الشعر العربي المنسوب إلى الجاهليين لأنه خلو من التعبير عن العبادات والشعائر وما إليها ، ولكن قليلا من العلم بالتاريخ الجاهلي ينقض هذا الظن كله لما هو معلوم عن مناسك العرب الجاهليين وإنها لم يوجد لها هيكل ترتل فيه الصلوات والأناشيد الدينية على مثال الهياكل الهندية أو الفارسية أو المحافل اليونانية ، وإنما كان هيكلهم الأكبر في الكعبة مثابة فريضة ليس للشعر عمل فيها كعمله في الأشعار الدينية المشهورة ، ونعني به فريضة الحج أو زيارة الكعبة من حين إلى حين ، ولو جاز أن ننفي الشعر الجاهلي الذي خلا من الدينيات لوجب أن نخل في محله شعرا آخر لم يخل من هذه الدينيات ولو بقى ذكره ولم تبق نصوصه بأوزانه وكلماته ، سواء نظم ذلك الشعر بلغة قريش أو بلغة غيرها ، لاعتقاد المستشرقين أن لغة قريش لم تشمل أنحاء الجزيرة العربية ... فأين هو ذلك الشعر الموهوم ؟

ومن نقص فهم التاريخ الذي يؤدي إلى الخطأ في نقد الشعر وفهم أطوار اللغة أن المستشرقين لم يلتفتوا إلى عموم لغة قريش بين اليهود الذين لاشك في اختلاف لغتهم الأولى عن لغات قريش وسائر أبناء الجزيرة .

وبعض ما يستفاد من الالتفات إلى تاريخ يهود يثرب - مثلا -